من أوراق الرئيس (26)

الجليد .. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

القذافى وخطته اللقيطة :
محاربة إسرائيل من سوريا فقط

كان على الرئيس السادات أن يحصى المشاكل التى أمامه وأن يراها بوضوح ليحلها واحدة واحدة وأحصاها جميعاً ولكن وجد أمامه مشكلة كبرى هى أن الجيش ليس مستعداً وفى نفس الوقت كانت روح الهزيمة والتمزق قد استحكمت من نفوس الشبان ومن نفوس حملة الأقلام فى مصر كما أن عدداً من الصحفيين قد تطوعوا لتشويه مصر وتلطيخ سمعتها .

مصريون يفعلون ذلك لصالح القذافى والسوفيت ..

وفى نفس الوقت كانت جريدة الأهرام ورئيس تحريرها وجماعة المفكرين القادرين على حل كل مشاكل الكون جميعاً قد اتفقوا على رؤية ورأى واحد : هو أن مصر انتهت راحت ضاعت .

وليس أمام مصر إلا أن تختار القذافى كيف قالوا له فصدق

وجاء القذافى يغزو الرأى العام المصرى وحده جاء بالقميص والبنطلون والصندل يعرض نفسه على القبائل لعلها تبايعه كأنه بنى الصحراء أو لأنه كما يقول نبى الصحراء وعرض نفسه على قبيلة مجلس الوزراء وقبيلة مجلس الشعب وقبائل المؤسسات الصحفية فى مصر فلم تبايعه وبايعته جريدة الأهرام وشجعها رئيس تحرير الأهرام ونشروا له ندوته أو بروتوكولات حكماء الأهرام .

ولكن الرئيس السادات لا يرفع عينيه عن القوات المسلحة ، ولا عن ذلك اليوم الذى تحدد وإختاره القدر موعداً لانتصار قواتنا المسلحة ، واسترداد كرامتنا العربية .

وكلفت وزير الحربية الجديد أحمد إسماعيل أن يستعد أى أن يوقف الجبهة وأن يتهيأ لتحضيرات الهجوم وأنا أترك الجبهة الداخلية الآن فالذى سمعته عن القوات المسلحة ومن القوات المسلحة أذهلنى ووجدت أن هذه هى المعركة معركة إعداد الجيش ليدافع عن مصر وعن القومية العربية كلها .

www.anwarsadat.org

وأحسست أمام الردة التى إجتاحت بعض الناس أنه لابد من عمل شئ بسرعة وأحسست أن أحمد إسماعيل فى اللحظة التى كان يرفع فيها الساتر الترابى كان يرفع من معنويات الجيش أيضاً فالسواتر الترابية كانت شيئاً أهم من التراب وكانت أخطر من مجرد ساتر عندنا يقف أمام ساتر عند اليهود أو يعلو على ساتر اليهود لم أشعر قط أن هذا التراب الذى اشتركت فى رفعه كل شركات المقاولات فى مصر ، كان تبرأ وليس تراباً ففى استطاعة قواتنا أن تعلو وأن تقف فوق هذا التراب أسحلتها وتكشف العدو كما كان يفعل فى قواتنا .

لقد أقام أحمد إسماعيل ساتراً ترابياً عالياً على شكل حدوة الحصان وقال اليهود أن المصريين قد إعتادوا على بناء الأهرامات حتى فى العصر الحديث أقاموا هرماً ولم يكن بناء الأهرامات الترابية هذه إلا لحكمة يعرفها اليهود وإن كانوا يتظاهرون بأنهم لا يعرفون حكمتها وجاءت على شكل حدوة الحصان لا بإعتبار أن هذه الحدوة هى رمز للتفاؤل ولكن لأسباب عسكرية .

وبعد ذلك جاءنى أحمد إسماعيل يقول لى تمام يا أفندم .

وكان صادقاً فيما يقول فهو رجل جاد وعلى درجة عالية من الثقافة العسكرية والثقافة العامة .

وفى نهاية ديسمبر واجهت الشعب كله بما حدث وفضحت اليمين واليسار وطلعت الصحيفة اليومية ورئيس تحريرها مستشار القذافى تقول إن القرارات التى أصدرتها غير مدروسة وكانت تقصد قرار طرد الخبراء السوفيت وقرار عزل وزير الحربية الذى راح يدعو لزعامته فى الجيش وكان يبنى هذه الزعامة على هدم معنويات القوات المسلحة وقد عزلته وإثنين آخرين حاول أحدهما الإنتحار فى السجن وأرسل لى ورقة ملتهبة حماساً عندما إنتصرت قواتنا فى أكتوبر .

وأمام مجلس الشعب أكدت للشعب وللأمة أنه من الضرورى أن نكون على حذر ، وأن نتنبه إلى مزالق لا يحق لنا أن ننجرف إليها ، سواء بالنسبة لتحرير الأرض أو الممارسة الديمقراطية .

فقضية تحرير الأرض العربية هى إلتزامنا الأساسى وإليه وفى سبيله يجب أن تتجه كل أعمالنا ونياتنا فلا طريق إلى إسترداد الحق إلا بالقوة إلا بقواتنا المسلحة ولا يمكن لقواتنا المسلحة أن تؤدى دورها إلا إذا كانت هناك جبهة داخلية متماسكة وصلبة تؤمن بهدفها وتعرف طريقها إلى تحقيقه مهما كانت التكاليف ثم أن الوحدة الوطنية هى الدعامة الوحيدة للجبهة الداخلية المتماسكة الصلبة .

وأعلنت أيضاً أنه بدءاً من الآن لن أسمح ولن تسمحوا ولن يسمح شعبنا بنغمة طائفية من أى شخص ومن أى مصدر ولأى سبب ثم إننى أيضاً لن أسمح ولن تسمحوا ولن يسمح شعبنا باستقطاب يمزق قوى الوطن خصوصاً بين الشباب بدعاوى اليسار المغامر أو اليمين الرجعى .

فى هذا الوقت من نهاية عام 1972 كنت أتلقى معلومات بأن القذافى على صلة بالطبة ويبعث لهم بتعليمات وفلوس والطلبة على صلة بالصحيفة اليومية وهذه الصحيفة تطبع للطلبة مجلة ويمكن ربط هذه الحلقات فى سلسلة واحدة والسلسلة تبدأ هنا من مصر وتنتهى بالقذافى وبالروس أيضاً .

وكل هذه الحلقات لها معنى واحد أن مصر إنتهت والهدف يجب أن يعمل القذافى شيئاً .

وهذا يفسر قلق القذافى ومستشاره على معرفة كل ما يجرى فى مصر وأن كانوا يفسرون كل شئ لصالحه هو .

وقد وضعوا أمام القذافى أننى أتخبط مع اليمين واليسار وأن الجيش عاجز تماماً وأن اليهود يتطورون يوماً بعد يوم وأن كل هذه المشاكل لن يحلها إلا رجل واحد أما مصر كلها بتاريخه برجالها بماضيها بحاضرها بمؤسساتها وبما حققته وبما هى قادرة عليه ، كل ذلك لا شئ ، لا أحد ، كل ذلك لقنوه للقذافى وأخذوا فلوسه قبل ذلك وبعد ذلك وحتى اليوم .

وأذكر أنه فى أوائل سنة 1973 كنت فى زيارة إلى يوغوسلافيا ورأيت أن أمر على القذافى وفى بيته أنعقد مؤتمر صحفى وسألنى صحفى ليبى عن مغزى ما حدث من طلاب الجامعات المصرية .

ووجدتها فرصة لكى أقول فى ليبيا وعلى مسمع من القذافى الذى كان يتظاهر بأنه مشغول بأشياء أخرى أو أفكار أخرى فأكدت لهم أننا جميعاً ممزقون من الداخل منذ هزيمة يونيو 1967 ثم إن حالة اللا سلم واللا حرب قد ضاعفت هذا التمزق الداخلى ومن الحرج الذى يستشعر ويتعذب به كل مواطن ، ليس فى مصر وحدها بل البلاد العربية ، وأشرت إلى أنه يجب ألا نستسلم لهذا التمزق ، بل على العكس علينا أن نواجه هذا المنظور الخطير والطبة كغيرهم من المواطنين يعانون من هذا التمزق والذى حدث ليس حقداً عاماً وفى نفس الوقت يجب ألا نحوله إلى حقد .

وأسمعت القذافى أيضاً أن مصر بها خمس جامعات الأزهر والقاهرة والأسكندرية وعين شمس وأسيوط ويبلغ عدد الطلاب فى الجامعات والمعاهد العليا ربع مليون ..

ثم قلت لهم إنى رويت للأخ القذافى ونحن نتكاشف فى طرابلس أن مجموع الخارجين على إجماع الطلبة لا يزيد على ستين أو سبعين طالباً فإذا أضفنا إليهم بعض ذيولها فلن يزيدوا على مائتين ومثل هذا العدد لا يدل على رأى عام بل إننى قد منعت طلاب جامعة الأزهر من الخروج فقد كان فى نيتهم أن يتصدوا لهؤلاء الخارجين أما جامعة أسيوط فقد إستنكرت بالإجماع كل ذلك وقال الطلاب إننا يجب أن ننصرف إلى دروسنا .

وأكدت لهم أن النيابة العامة تحقق فى كل ما فعله الطلاب تأكيداً لسيادة القانون .

أما مجلس الشعب فهو يحقق فى ذلك من الناحية السياسية وذلك عن طريق لجنة إستقصاء للحقائق .

وأشرت إلى أن التهويل فى أثر مظاهرات الطلبة وبواعقها قد بالغت فيه صحف بيروت .

أو بالغت فيه الأقلام العميلة للقذافى وغيره فى مصر وفى بيروت أيضاً .

أو الأقلام الصهيونية العميلة كما فعل الصحفى اليهودى دافيد هيرست الذى طردته من مصر فقد كان هو أيضاً يتلقى معلوماته من صحفيين مصريين لا يجدون عيباً فى التجنى على مصر وسمعة مصر .

وأدهشنى أن تكون هذه الأسئلة فى بيت القذافى .

ولابد أن تكون هذه الأسئلة بتلقين منه كما أن آخرين مأجورين يلقنونه بتفسيراتهم عن الذى يحدث فى القاهرة .

وتضايقت جداً من أن هذه الأسئلة وجهت لى فى مؤتمر صحفى بعد كل الذى قلته فى مصر وشرحته ووضحته وبعد كل الذى أعلناه .

إذن فالصورة عندهم مختلفة عن الواقع أو أن القذافى يريدها أن تكون مختلفة وكأنهم لا يصدقون ما أقول أو كأنه هو حزين لما حدث فى مصر فقد تضاءلت الأحداث وتضاءل الذيت إشتركوا فيها وهدأ كل شئ وساد القانون وسوف يسود دائماً .

وجاء ذلك صدمة للقذافى والناس الذين يستأجرهم ليخدعوه .

حتى الذين صناعتهم التفكير والتنوير فى مصر قد أصدورا بياناً بيان الكتاب وظلموا فيه توفيق الحكيم وقد قابلت توفيق الحكيم بعد ذلك وقد عزلت هؤلاء الكتاب ولم أشأ أن أبعث بهم

إلى المجمعات الإستهلاكية وإنما نقلتهم إلى هيئة الإستعلامات ولم أقطع مرتب واحد منهم ثم أعدتهم جميعاً يوم 28 سبتمبر .

وعندما أستعيد كل ما حدث فى ذلك الوقت أجدنى مشغولاً تماماً وقلقاً فى نفس الوقت ولكن حريص على أن أتصرف بمنتهى الهدوء وأن أقوم بترتيب المشاكل واحدة بعد الأخرى وكان أهم ما يشغلنى هو الإعداد للمعركة وقد أعلنت ووعدت وأنا أعرف والذين حولى يعرفون أن المسألة جادة وأن الموقف خطير وأن أيامنا الحاسمة قادمة لا ريب فيها .

فى ذلك الوقت فوجئت بالقذافى يطلب إنعقاد مجلس الرياسة وكان المألوف أن نلتقى نحن الثلاثة حافظ الأسد والقذافى وأنا ثلاثتنا فقط ونستدعى أى احد متى رأينا ضرورة لذلك ولكن هذه المرة طلب القذافى أن يأتى كل واحد منا بوفد معه لابد أن هناك شيئاً ما يريد أن يشرك فيه الوفود ، لا أعرف ولكن سوف نرى .

وأرسلت إلى الرئيس حافظ الأسد أخبره برغبة القذافى أن يأتى على رأس وفد وكان فى الوفد المصرى المشير أحمد إسماعيل .

وفى نهاية الإجتماع تحدثت بإعتبارى رئيساً لمجلس الرياسة وقلت إن الأخ معمر القذافى هو الذى طلب أن يكون الإجتماع هذه المرة بالوفود .

ثم أعطيت الكلمة للقذافى قائلاً : تفضل يا أخ معمر .

وجاء كلامه أسوأ مما تصورت فهو لم يتعال على البشرية كلها وإنما راح يشتم سوريا ورئيسها حافظ الأسد وحزب البعث ولم يكتب بذلك بل شتم الأمة العربية كلها .

والمعنى الذى يقصده هو : أنه لا أحد فى الأمة العربية كلها يفهم مثله ولا يصلح للقيادة أو الزعامة غيره .. لقد قالوا له ذلك وصدقهم وهو الآن يعرف ماذا حدث فى مصر وما الذى ينتظره فهو إذن يحدثنا جميعاً بإعتبار أن الوضع قد إنتهى وأن كل شئ فى إنتظاره .

وفى كل مرة أتأمل ملامحه لا أستغرب ما يقول .

ثم إنه قد ذهب فى جنونه إلى حد السب والقذف فعلاً بدأ (قذافياً) فأطلق من الكلام ما لا يمكن قبوله ولا إحتماله : فقد قال للرئيس حافظ الأسد وهو يسخر منه ومن سوريا : إن رجلاً يهودياً كان من الممكن أن يكون رئيساً للجمهورية السورية .

وهو يشير بذلك إلى الجاسوس الإسرائيلى كوهين الذى إعتقلوه وأعدموه فى سوريا .

وطلب الرئيس حافظ الأسد الكلمة وتحدث فى غاية الهدوء والأدب وقال للقذافى ما معناه أنه طفل وأنه لا يعى ما يقول .

وبدأت الحركات العصبية للقذافى تتزايد وطلب لأول مرة فى حياته سيجارة لأنه لا يدخن .

ورفعت الجلسة فلم أكن جاهزاً للرد على القذافى وفى نفس الوقت لم أشأ أن ترتفع درجة الحرارة أكثر من ذلك .

وفى اليوم التالى هاجمت القذافى بعنف وقد أذهلنى أنه فى حديثه المضطرب قال إن الطلبة فى مصر على حق .

شئ غريب بعد كل الذى قلته والذى شرحته والذى أكدته له يعود فيقول إن الطلبة على حق هذه العشرات من الطلبة على حق ومئات الألوف من الطلبة الذين إستنكروا ما فعلته هذه الشراذم ، على باطل .

وأعجب من ذلك أن القذافى كان قد تقدم بخطة عسكرية لمواجهة إسرائيل وقد إستهل حديثه بأننا لم نهتم بهذه الخطة ولم نعرها أى إهتمام .

ولسوء حظه كنت قد كلفت المشير أحمد إسماعيل أن يدرس هذه الخطة ولم نعرها أى إهتمام .

ولسوء حظه كنت قد كلفت المشير أحمد إسماعيل أن يدرس هذه الخطة وأن يرد عليها .

وفى هذا الإجتماع أعلن المشير إسماعيل أنه قد أتى معه بالخطة وأنه عرض هذه الخطة على أكاديمية ناصر وأن الأكاديمية وهى قمة الدراسة العليا المتخصصة قد درستها وردت عليها .

أما هذه الخطة التى تقدم بها القذافى فهى كيف نواجه إسرائيل وكان من أرائه العظيمة الحكيمة أن يوقف العمليات العسكرية على جميع الجبهات وأن تركز على الجبهةة السورية وحدها وذلك بأن تنقل إليها كل القوات وفى رأى القذافى أن هذه هى الخطة الوحيدة التى يمكن أن تنجح فى مواجهة العدو .

هذه الخطة المجنونة كان قد قدمها أيام جمال عبد الناصر ولما كشفه جمال عبد الناصر إعترف القذافى بأن هذه الخطة ليست من صنعه وإنما قد وضعوها له ثم وضعوا إسمه عليها .

وجمال عبد الناصر هو الذى اطلق عليها إسم " الخطة اللقيطة " اى التى لا نعرف لها أباً ولا أماً .

وليست هذه هى الخطة الوحيدة التى وضعها القذافى أو التى قفز عليها القذافى وإدعاها لنفسه فهناك خطط أخرى كثيرة بعث بها لجميع الأكاديميات العسكرية يصحح فيها المعارك العسكرية التاريخية الكبرى كمعارك روميل فى الصحراء الغربية ومعارك مونتجمرى .

ولابد أن الروس سيأخذون بوجهة نظره فى تصحيح معارك ستالينجراد التى أصبح إسمها لننجراد والذى كان إسمها بطرسبرج والتى سوف يكون إسمها قذافينجراد كل شئ ممكن فالقذافى يعتقد أنه بفلوسه يستطيع أن يشترى أى شئ وأى أحد والروس يؤكدون له أن هذا ممكن لأن هذا حقه فهو زعيم بالحق الإلهى على كل العرب على الرغم من أن الروس لا يؤمنون بأى إله .

وأعترف بأننى تضايقت جداً وشعرت بشئ من القرف فلا هذا الذى نراه بشر ولا هذا الذى نسمعه كلام معقول فقد كنا أمام إنسان منحط غاية الإنحطاط فلا هو يحسن الكلام ولا هو يحسن تقدير الأمور ولا نحن مطالبون من أى أحد بأن نتحمله اكثر مما تحملنا .

ورفعت الجلسة مكتفين بهذا القدر الفظيع من الكلام الذى سمعت والكلام الذى قلت والصبر على هذا .

وجاءت التقارير تقول لى أن الإذاعة والتليفزيون فى حالة إستعداد تام لم أفهم وعرفت أن القذافى قد أعلن فى الإذاعة والتليفزيون أن اليوم إجازة ولأن ليبيا قد ذهبت لمجلس الرياسة لتعرض أموراً هامة .

أما الإذاعة والتليفزيون معاً فيعلنان بين لحظة وأخرى أنها لحظات تاريخية حاسمة ليبيا تتقدم بمشروع التحول الخطير العقيد الان يتقدم العقيد يشرح العقيد يعلن قضيته ليبيـــا الآن تواجـــه العالم كله .

كل هذا جاءتنى أخباره بالليل ، أى قبل إستئناف الإجتماع فى اليوم التالى .

فعرفت لماذا كان القذافى يريد إجتماعاً بالوفود إنها مظاهرة أعدها القذافى وجعل الشعب الليبى والعالم العربى يتفرج إنها خطة ومظاهرة أراد أن يحرجنا أمام العالم العربى إنها مسرحية أو تمثيلية أو دراما .

وفى اليوم التالى قلت له : ما هذا الذى تفعله .. ما هذه الأعمال المسرحية أنت جهزت الإذاعة والتليفزيون لتفتح معنا معركة على الهوا .

وأطلقت عليه كلمات كالرصاص والغريب فى أمره أنه يسمح هذه الكلمات ويحنى رأسه وكأن شيئاً لم يسمعه وفى الليل إعتذر للرئيس حافظ الأسد عن كل كلمة قالها وقد قلت للرئيس حافظ الأسد إن القذافى سوف يعتذر إلى أقصى حد كأن الذى وجه إليك العبارات النابية شخص أخر وهو بالفعل شخص أخر .

ولم نلتق بعد ذلك وفى كل مرة يبعث فيها بأحد يطلب أن نجتمع مرة أخرى كنت أرد عليه قائلاً :

أبداً قبل أن يتعلم كيف يكون إنساناً مهذباً أو إنساناً ما فلن ألتقى به .

إنه هو أيضاً يردد نفس الكلام الذى يقوله الصحفيون المرتزقة أو يقوله " مجلس الحكماء " بل أننى سمعت رئيس التحرير إياه يحدثنى هو أيضاً عن مجلس الحكماء فمن رأيه طبعاً أن مصر راحت وأن مجلس الحكماء هذا وحده القادر على إدارة مصر وتجنيبها الضياع والهزيمة العسكرية .

وشكرته على نصيحته الغالية هذه وقلت له : إبتداء من اليوم مقالاتك تعرضها على الرقيب .

فقال : إن هذا لم يحدث أيام جمال عبد الناصر .

وقلت له : جمال عبد الناصر كان قد أقفل الصحافة كلها عليك ولم تكن لأحد أية حرية .

وإستأذن فى أن يسافر إلى الشرق الأقصى ليغطى موقفه عندما يتوقف عن الكتابة وسافر وهو كالقذافى تماماً يؤمنان بأن مصر إنتهت أو لعله سافر حتى لا يجد مصر عندما يعود ؟

وفى مارس من سنة 1973 إجتمعت مع المشير أحمد إسماعيل فى بيت صغير فى كنج مريوط وكان إجتماعاً تاريخياً لأننى أعطيت فيه قرار الحرب ولم أحدد متى يكون ذلك من هذه السنة .

وفى ذلك الوقت كانت قواتنا تتدرب على القتال وعلى مواقع تشابه تماماً المواقع التى سوف تحارب فيها وفى منطقة قريبة من القناطر الخيرية حيث الرمال والحاجز المائى والعبور وسواتر الرمل .

وكان هذا الكوخ هادئاً متواضعاً أقامته وزارة الزراعة منذ ستين عاماً .

وقد جاء الرئيس حافظ الأسد إلى هذا الكوخ فى زيارة سرية وإتخذنا معاً فى شهر أبريل قرار المعركة .

وقد قدم لنا الفريق عبد الغنى الجمسى دراسة صافية عن أنسب الأوقات للقتال وكانت هذه الدراسة إضافية عن أنسب الأوقات للقتال وكانت هذه الدراسة خلاصة أبحاث فى علوم كثيرة أبسطها علم الفلك ففى هذه الدراسة وصف لنا الظواهر الطبيعية على مدار السنة .. حالة الجو والمد والجزر وحركة الرمال والشروق والغروب وقد كتب الجمسى هذه الدراسة بخط يده .. ومن يقرأ هذه الدراسة يستشعر صعوبة الألم العسكرى وإنه ليس سهلاً كما يتصور بعض المحللين أصحاب نظرية " المنخل والغربال فى الحرب والقتال " والذين يعتقدون أن القذافى هو عطاء عظيم للعالم كله وأنه هبة من الجماهيرية المورستانية إلى القومية العربية .

كل شئ يسير حسب الخطة الموضوعة والمتفق عليها مع الرئيس حافظ الأسد وكل يوم يمضى نشعر بإقتراب اللحظات الحاسمة وهى ولا شك كذلك إنه ليس مصير مصر وسوريا وحدهما وإنما هو مصير الأمة العربية لمئات السنين فهذه المرة إذا لم ننتصر فإن كل ما قاله العدو والحبيب سوف يصدق علينا وإننا شعوب كلام وإنه لا قومة لنا بعد ذلك ولن يثق أحد فينا ولا فى قواتنا العسكرية .

وقد جربت بصورة أليمة معنى أن يكون الإنسان صادرة فيما يقول ثم لا يجد أحداً يصدقه أو إذا صدقه فما باب الإشفاق عليه أعرف ذلك جيداً وقد جربت وتعذبت به وهانت نفسى على نفسى ولكن من أجل مصر كل شئ يهون .

وفى يوم من تلك الأيام من صيف 1973 تلقيت رد يقول : وصل

سألت : من ؟

قالوا : القذافى .

وصل ؟ أين ؟

إلى مطار القاهرة

كيف ؟

جاء ومعه أسرته وعدد من الحقائب

فأمرت بأن يعد له قصر الطاهرة وقابلته وسألته .

خير يا معمر ؟

خير يا سيادة الرئيس

ماذا جرى ؟

جئت أنا وزوجتى وأولادى وملابسى وكتبى وسلاحى جئت إلى مصر ولن أعود إلى ليبيا .

أهلاً وسهلاً ولكن لماذا ؟

لن أعود قبل إتمام الوحدة الاندماجية .

الله ، أنت غيرت سياسة تقديم الإستقالة ، سياسة السفر إلى مصر ؟

نعم .. إعتبرونى لاجئاً سياسياً .

أهلاً وسهلاً ولكن

لن أعود قبل إعلان إتمام الوحدة الاندماجية الفورية مع مصر

يا معمر ألم أنصحك أكثر من مرة أن تكف عن هذه الطريقة يا معمر إن الوحدة لا تكون بهذه الصورة قلت لك ألف مرة إن هذا مصير شعوب وليس لعبا ولا لهواً يا معمر نحن الان نستعد للقتال أن الموقف أخطر من إضاعة الوقت فى هذه القضية التى تسبق أوانها ثم إن لدينا تجربة الوحدة مع سوريا ولا يمكن أن نكررها قلت لك ذلك ألف مرة ولا أفهم معنى إصرارك على موقفك كأننى لم أقل لك شيئاً وكأننى أنصحك بشئ لابد أن تدرس يا معمر لقد شكلت اللجان من أجل هذا الغرض فلنعطها بعض الوقت .

ولكن اللجان لا تدرس أى شئ وإنما اللجان الليبية تعهدت ألا تساهم بشئ وفى الوقت الذى يتعجل فيه الوحدة فإن اللجان تعطل الوحدة .

وأخر ما أهتدى إليه تفكيرى أن قلت له يا إبنى .. أمامك مصر كلها مفتوحة .. خاطبها .. ناقشها .. إسمع منها وحاول إقناع الناس بهذه الوحدة الاندماجية أمامك مجلس الشعب ومجلس الوزراء وكل المؤسسات الصحفية أشرح وأعرض وأقنع .

وكان من ضمن البرنامج أن نذهب معاً إلى الإسكندرية وأستقبله الناس ورحبوا به .

شئ غريب حدث أثناء الرحلة إلى الإسكندرية لقد التفت إلى اللافتات التى حملها المواطنون وقال : ألا ترى يا سيادة الرئيس ؟

قلت : ماذا ؟

قال : إنها نفس الشعارات التى عندنا فى ليبيا يقصد أن الشعارات الليبية هى الأصل وأن الشعارات المصرية هى الصدى أو هى الظل لماذا ؟

لأنه يرى ولأنهم قالوا له وأقنعوه أن الثورة والثروة فى ليبيا وأنه هو وحده الزعيم الملهم .

وخسر القذافى الكثير جداً عندما ذهب إلى المؤسسات الصحفية ، وقال كل ما عنده .

والذين لم يعرفوه عن قرب رأوه والذين لم يتأكدوا من حركاته العصبية ولمعان عينيه الجنونى قد رأوا ذلك بوضوح .

لقد كانت فرصة ليعرفه الناس أكثر وليروا ويتأكدوا من الذى عرفته بنفسى ولذلك بدلاً من أن يخلق القذافى رأياً عاماً معه ، خلق رأياً عاماً ضده .

فالذين سمعوا عنه ، عندما سمعوه غيروا رأيهم فيه .

والذين رأوا صورة ثم رأوه هو أدركوا إنهم لا يحترمون أنفسهم بعد ذلك إذا إحترموه .

لقد كانت النتائج عكسية تماماً ، أراد أن يغزو الأقلام والعقول والرجال والنساء والوزراء وأعضاء مجلس الشعب ورجال الدين ورجال السياسة والاقتصاد ونجح فى أن يجعل منهم جميعاً صفاً واحداً معادياً له .

وتذكرت أيضاً أنه هو أيضاً جاءنى يقول لى : إن فى الصحيفة اليومية التى يرأسها رئيس التحرير إياه قسماً للتفكير ومعهداً للفلسفة وأن أعضاءه والعاملين فيه هم قمة الفكر وأنه من الأفضل أن أستعين بهم فى السياسة والعسكرية والحكم .

وأدهشنى وأضحكنى ذلك .

فهذه الصحيفة إذن قد إحتكرت الفهم والحكمة وهذه الصحيفة التى إحتكرت الرأى طول حكم جمال عبد الناصر تريد أيضاً أن تحتكر التفكير والحرية من بعده أيضاً .

وأطلقت على هذا المجلس وهذا المعهد الذى تحدث عنه القذافى إسم " مجلس الحكماء " أى الذين إحتكروا الحكمة فهم وحدهم القادرون على التفكير وهم وحدهم الذين يصدرون الحكمة لمستهلك واحد فى ليبيا هو القذافى ومن مصدر واحد فى مصر هو رئيس تحرير هذه الصحيفة الذى يقوم بدور حكيم العصر والأوان .

أتذكر ذلك وأضحك رغم أننى فى ذلك الوقت كنت مهموماً وليس لدى أدنى إستعداد للضحك فما كان فى إستطاعتى أن أنشغل لحظة واحدة عن الإعداد أو الإستعداد للقرار المصيرى قرار الحرب .

وفى نهاية أغسطس سافرت إلى بلودان فى سوريا وقابلت الرئيس حافظ الأسد وإتخذنا قرار المعركة الذى هو يوم 6 أكتوبر سنة 1973 .